الاضطراب المصطلحي في حقل النقد الأدبي العربي الحديث
(بحث في المظاهر والأسباب والحلول)

أ. طالب سعاد
جامعة المسيلة

الملخص:
يعد المصطلح لغة العلم أو مفتاح العلوم على حد قول القدامى لذا فإن من أهم وظائفه أن يكون شفرة للتواصل وتبليغ المعارف وأي خلل في هذا المصطلح سيؤدي حتما إلى الإخلال بعملية التواصل العلمي تلك والمتتبع اليقظ في حقل النقد الأدبي العربي الحديث يلمس اضطرابا مصطلحيا واضحا مما أدى إلى الارتباك والفوضى والغموض في هذا الحقل وقد حاولنا من خلال بحثنا هذا الوقوف على بعض مظاهر هذا الاضطراب والبحث عن مسبباته لنتمكن في الأخير من إيجاد بعض الحلول التي يمكنها التخفيف من حدة هذه الفوضى الاصطلاحية.
الكلمات المفتاحية: المصطلح النقدي، الفوضى الاصطلاحية، مسببات، مظاهر، حلول.

Résumé :
Le terme est considéré comme la langue des sciences ou la clé des sciences selon le dicton des anciens, c'est pourquoi parmi ses fonction est d'être le code pour communiquer et la signification des connaissances et tout défaut en ce terme, conduirait inévitablement à la violation du processus de cette communication scientifique ; l'observateur vigilent dans le champ de la critique arabe moderne ressent une confusion terminologique apparente ce qui entraine à la confusion, le chaos et à l'ambiguïté dans le champ. Nous avons tenté à travers notre recherche de marquer une pause sur certains aspects de ce trouble et détecter ses initiateurs pour aboutir enfin à trouver quelques solutions qui pourraient atténuer de la densité de cette anarchie terminologique.
Mots clés : Le terme critique, la confusion terminologique, les initiateurs, les aspects, les solutions

تمهيد:
لا مشاحة في أن المصطلح يمارس دورا فاعلا في مسألة تكوين المعرفة بما هي حمولة دلالية وثقافية فمفاتيح العلوم مصطلحاتها كما قيل قديما، كما أنه لغة التواصل بين المتخصصين في أي علم من العلوم، وبما أن النقد الأدبي أحد هذه العلوم "فليس من مسلك يتوسل به الإنسان إلى منطق النقد غير ألفاظه الاصطلاحية حتى لكأنها تقوم منه مقام جهاز من الدوال ليست مدلولاته إلا محاور العلم النقدي ذاته، ومضامين قدره من رجحان المعالجة فإذا تبينا خطر المصطلح في كل فن، توضّح أن السجل الاصطلاحي هو الكشف المفهومي الذي يقيم للمنهج النقدي سوره الجامع وحصنه المانع".[1]

فبدون مصطلح نقدي واضح ودقيق لا يمكن إقامة نقد جاد وفاعل.

ونظرا لهذه الأهمية البالغة التي يكتسيها المصطلح في حقل العلوم فقد ذهب العلماء والباحثون إلى وضع مجموعة من الضوابط التي يفترض أن يسير وفقها فعل الاصطلاح.

لعل أهمها تلك التي أجملها الباحث جميل الملائكة في مقاله الموسوم بـ "في أساليب اختيار المصطلح العلمي ومتطلبات وضعه" والتي نذكر منها:

1- لا يشترط في المصطلح أن يستوعب كل معناه العلمي فالمعروف أن لكل لفظة دلالتها اللغوية التي نجدها في قواميس اللغة مفسرة ومشروحة غير أن تلك اللفظة اللغوية تصبح مصطلحا عندما يصطلح العلماء على استعمالها للدلالة على معنى علمي دقيق غير المعنى اللغوي القاموسي.

2- يجب النظر إلى المدلول العلمي للمصطلح الأجنبي قبل معناه اللغوي ففهم المدلول العلمي للمصطلح يسهل عملية اختيار المصطلح العربي المناسب له.

3- يجتنب الاصطلاح بلفظ واحد لمدلولات علمية مختلفة.

4- يلزم الاحتراز من استعمال عدة مصطلحات لمعنى واحد فهذا أيضا يؤدي إلى التعقيد واللبس.

5- لا يتخذ المصطلح من ألفاظ لغوية شائعة الدلالة والاستعمال فإن اختيار المصطلح العلمي من اللفظ الشائع يجعل معناه العلمي الدقيق عرضة للالتباس بمعناه الشائع المتداول.

6- يفضل اتخاذ مصطلح عربي على المصطلح المعرّب أو الأجنبي، فإن المصطلح العربي أدعى للفهم والاستيعاب من المصطلح المعرّب أو الأجنبي.

8- لا يلجأ إلى النحت إلا إذا دعت ضرورة ملزمة فالنحت كثيرا ما يؤدي إلى مصطلح معقد غير مأنوس لا تألفه الأذن العربية.[2]

كما أضاف علي القاسمي[3] شروطا منها:

- استقراء وإحياء التراث العربي خاصة ما استعمل منه أو لما استقر منه من مصطلحات علمية عربية صالحة للاستعمال الحديث وما ورد فيه من ألفاظ معربة.

- استخدام الوسائل اللغوية في توليد المصطلحات العلمية الجديدة بالأفضلية طبقا للترتيب التالي: التراث فالتوليد بما فيه من مجاز واشتقاق وتعريب ونحت.

- تفضيل الكلمة التي تسمح بالاشتقاق على الكلمة التي لا تسمح به.

- تفضيل الكلمة الدقيقة على الكلمة العامة أو المبهمة ومراعاة اتفاق مدلول المصطلح العربي مع المدلول العلمي للمصطلح الأجنبي دون تقيد بالدلالة اللفظية للمصطلح الأجنبي.

- مراعاة ما اتفق المختصون على استعماله من مصطلحات ودلالات علمية خاصة بهم معربة أكانت أو مترجمة.

- التعريب عند الحاجة وخاصة المصطلحات ذات الصيغة العالمية كالألفاظ ذات الأصل اليوناني أو اللاتيني أو أسماء العلماء المستعملة مصطلحات.

- أما عند تعريب الألفاظ الأجنبية يجب مراعاة ما يلي:

- ترجيح ما سهل نطقه في رسم الألفاظ المعربة عند اختلاف نطقها في اللغات الأجنبية.

- التغيير في شكل اللفظ حتى يصبح موافقا للصيغة العربية مستساغا.

- اعتبار المصطلح المعرّب عربيا يخضع لقواعد اللغة ويجوز فيه الاشتقاق والنحت، وتستخدم فيه أدوات البدء والإلحاق مع موافقته للصيغة العربية.

- تصويب الكلمات العربية التي حرّفتها اللغات الأجنبية واستعمالها باعتماد أصلها الفصيح.

- ضبط المصطلحات عامة والمعرّب منها خاصة بالشكل حرصا على صحة نطقه ودقة أدائه.

أما الباحث: هشام خالدي فكان له تفصيل طريف لهذه المبادئ حيث جعلها قسمين مبادئ عامة وتتمثل في:

- الأخذ بالقياس في اللغة.
- تفضيل العربي على المعرّب.
- الاقتباس من التراث.
- إكساب المصطلح العربي الدقة والخصوصية.

ومبادئ خاصة تتمثل في:

1- التأليف الصوتي ويتمثل في تجنب تنافر الحروف في المصطلح تسهيلا للنطق به، وتفضيل اللفظ ذي المخارج اللينة الذي تكثر فيه حروف الذلاقة.

2- البنية الصرفية وفيها مسألتين: أولها تفضيل الوحدة المعجمية البسيطة والمتكونة من عنصر واحد على الوحدة ذات البنية المركبة ،وذلك تسهيلا لعملية الاشتقاق والتصريف وهذا لا يعني انتفاء قاعدة التركيب (النحت) في التوليد الاصطلاحي.

أما المسألة الثانية فتخص قضية السوابق واللواحق فالاتجاه العام هو الميل إلى ترجمة هذه الزوائد التي تعد مخالفة لطبيعة البنية في الكلمة العربية

3- من الناحية الدلالية وفيها ثلاث مسائل :

أ- تخصيص مصطلح واحد لمفهوم واحد فلا يشترك في المفهوم الواحد اسمان أو أكثر ويتجنب بذلك الترادف .

ب- أحادية الدلالة أي أن يكون المصطلح المولّد ذا دلالة واحدة في الحقل الذي ينتمي إليه ويتجنب الاشتراك الدلالي.

ج- تجنّب النافر والمحظور من الألفاظ.

4- الاقتراض المعجمي: وذلك بتفضيل المعرّب على الدخيل وأن ينطق بالمعرّب كما عرفته العرب، ويرجّح من المقترضات ما يسهل نطقه وهي طريقة تعريب الأصوات الأعجمية التي لا مقابل لها في العربية.

- أما على مستوى البنية الصرفية فيجب التغيير في شكل اللفظ الأجنبي حتى يصبح موافقا للصيغة العربية. (4)

هذه الشروط بالنسبة لوضع المصطلح أما واضع المصطلح فهو الآخر لابد من شروط تتوفر فيه لأن فعل الاصطلاح غير متاح لكل من هب ودب وقد ذكر الباحث يحي عبد الرؤوف جبر في مقاله: الاصطلاح مصادره ومشاكله بعضا منها وهي:

1- أن يكون على معرفة جيدة باللغة التي ينقل منها.

2- أن يكون على معرفة جيدة بالعربية وأساليبها.

3- أن يكون على علم واسع ودراية عريضة في المجال الذي يعمل فيه.(5)

فبالإضافة إلى تمكنه من لغته الأم واللغة التي ينقل منها وجب عليه التخصص في مجاله، مع ضرورة إطلاعه الواسع على الثقافات التي لها صلة بثقافة اللغتين "لأن هذا الاطلاع يزيد من خبرته ويصقل مواهبه ويوسّع أفقه ودائرة

معرفته، كل ذلك يكسبه الثقة في النفس والمقدرة على العمل الجاد الدؤوب، وكذلك التمييز بين المفاهيم المختلفة مما يساعده على وضع المصطلح الأصوب". (6)

كما اشترط الباحث إبراهيم كايد محمود في واضع المصطلح أو المترجم أن يتحلى بالصدق والأمانة والانتماء القومي.

فضلا عن تمتعه بالأرضية التراثية العلمية في الاختصاص والدافعية والموهبة والكفاية والخضوع لبرامج تأهيل مرسومة في وضع المصطلح وترجمته وتعريبه، والقدرة على التخلي على الأنانية والعمل بروح الجماعة والثقافة الشاملة المنفتحة.(7)

إذن على واضع المصطلح العلمي عامة أن يتصف بالدقة العلمية والثقافة الموسوعية والتخصص والتفقه في لغته الأم واللغة التي سينقل منها، بالإضافة إلى تحليه ببعض الأخلاقيات كاتصافه بروح الجماعة ونبذ الفردانية وحب التميز هذا بالنسبة لواضع المصطلح في أي حقل علمي، أما بالنسبة لواضع المصطلح النقدي فيترتب على هذه الشروط اتصافه بروح الإبداع الممزوجة بالدقة وإحاطته بالآداب والعلوم المتواشجة معها سواء كانت علوما لغوية أم علوما إنسانية.

ورغم وضوح هذه الضوابط والمنهجيات إلا أن النقاد والدارسين لم يتقيدوا بها أثناء وضع المصطلح النقدي أو نقله من لغة أجنبية إلى اللغة العربية مما نتج عنه الكثير من الإشكالات التي أثقلت كاهل النقد العربي وأفسدته كما كان للثورات اللسانية والنقدية والمنهاجية الحديثة أثرا بالغا في هذه الفوضى والاضطراب الاصطلاحي وهذا ما أكده الباحث فاضل ثامر بقوله "أثارت الثورة اللسانية والنقدية التي شهدها هذا القرن والتي مثلت الستينات أبرز منعطفاتها وبؤرها المتفجرة مشكلات كبيرة في مجال وضع المصطلح اللساني والنقدي وترجمته وتعريبه أمام الباحثين واللسانيين والمترجمين والنقاد العرب".(8)وقد تجلت مظاهر هذا الخلل الناتج عن تعثر مسار قيام مصطلح نقدي عربي محدد وموحد في عدة مظاهر لعل أبرزها:

1- تسمية المفهوم الواحد بعدة مصطلحات:

وهي أكثر المظاهر انتشارا في حقل النقد العربي الحديث وتتمثل في إعطاء مقابلات عديدة، مختلفة في كثير من المرات، لمفهوم غربي واحد وذلك بتجاوز المبدأ الاصطلاحي الذي يوجب مقابلة مفهوم واحد في الحقل العلمي الواحد، مما يفقد المصطلح دقته ووضوحه وقيمته الإجرائية فيؤثر سلبا على وظيفته التواصلية بخلق نوع من التشويش المفاهيمي للقارئ.

ولعل أبسط الأمثلة على ذلك أسماء المناهج النقدية الحديثة التي قوبلت بعديد من المصطلحات مثل:

مصطلح STRUCTURALISM

المصطلح	صاحبه	المرجع
الهيكلية	عبد السلام المسدي	الأسلوبية والأسلوب ص 204.
البنائية	نبيلة إبراهيم	البنائية من أين وإلى أين، مجلة فصول، م1، ع2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 168
البنائية	أحمد أبو زيد	المدخل إلى البنائية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية القاهرة 1995، ص1

البنائية	حميد لحميداني	بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1991، ص 09.
البنوية	عبد الملك مرتاض	التحليل السيميائي للخطاب الشعري، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، 2005، ص08.

مصطلح Semiology

المصطلح	صاحبه	المرجع
العلاماتية	منذر عياشي	العلاماتية وعلم النص،ط1، 2004، الدار البيضاء، المغرب
علم العلامات	أحمد أبو زيد	المدخل إلى البنائية، ص 179.
السيميوطيقا	محمد فكري الجزار	العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 106-107.
السيمياء وعلم السيمياء	سعد البازعي وميجان الرويلي	دليل الناقد الأدبي،إضاءة لأكثر من خمسين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،ط 2،2000، ص106.

مصطلح Déconstruction:

المصطلح	صاحبه	المرجع
التفكيكية	محمد عناني	المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم انجليزي عربي، طبع في دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط3، 2003، ص 131.
التفكيكية	أسامة الحاج	بيير، ق، زيما: التفكيكية دراسة نقدية، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1996.
التفكيكية	صبري محمد حسن	كريستوفر نوريس :التفكيكية، النظرية والممارسة، دار المريخ، السعودية، 1989.
التفكيك	عبد الله إبراهيم	معرفة الآخر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط2، 1996، ص 114
التفكيك	أحمد أبو زيد	المدخل إلى البنائية، ص 285-288.
التشريحية + التشريح	عبد الله محمد الغذامي	تشريح النص، مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2006،2 ،ص113
التقويض	عبد الملك مرتاض	في نظرية النقد، دار هومة، الجزائر، 2005، ص 94
التقويض	سعد البازغي وميجان الرويلي	دليل الناقد الأدبي (إضاءة لأكثر من خمسين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000، ص 53.
الهدبناء	السعيد بوطاجين	الاشتغال العاملي، دراسة سيميائية، منشورات الاختلاف، ط1، 2000، ص 170.

إذن من خلال ما سبق وأمام هذا الزخم الاصطلاحي للمفهوم الواحد تغيب الحقيقة ويجد القارئ نفسه أمام ترسانة مصطلحية حتى يظن نفسه أنه أمام مناهج عديدة لا منهج واحد بتسميات مختلفة.

ثانيا: إعطاء عدة مفاهيم للمصطلح الواحد: وذلك عن طريق اختلاف فهم المصطلح المستورد حيث يخضع للتوجهات الفكرية ووجهات نظر الباحثين والنقاد وقد تجلت هذه الظاهرة بصورة واضحة في حقل السرد ومصطلحاته فقد أحصى الباحث عبد الرحيم محمد عبد الرحيم لمصطلح قصة الكثير من التسميات ،حيث وضعت كمقابل للمصطلح الانجليزي Novel من طرف كمال عياد، كما ترجم كلمة Story بالقصة وبالحكاية في كتاب

واحد ،في حين قام صفوت عزيز بترجمة Story وTale وFable بـــ: قصة وجعل كلمة قصص مقابل لـــ: .Narratives

كما استعرض بعض تعريفاتها التي اختلفت هي الأخرى من باحث لآخر، فهي عند فتحي الأبياري: "نوع أكبر في الحجم من الأقصوصة وأصغر من الرواية" في حين قارنها سيد قطب بـــ: الأقصوصة حيث يرى أن: الأقصوصة هي شيء آخر غير القصة، فليست الأقصوصة قصة قصيرة وتسميتها هكذا short story قد توجد شيئا من اللبس ولعله أولى أن نصطلح في اللغة العربية على تسمية القصة رواية لتبعد ما بين اللفظين من الاشتباه.

أما عز الدين إسماعيل فجعل كلمة قصة مقابلا لما أطلق عليه النقاد رواية لمقابلة: Novel ونفس الاضطراب وقع مع مصطلح حكاية، حيث تعرفه نبيلة إبراهيم بأنه: نص متكامل له بداية ونهاية ويحتوي على حوار متبادل بين موقفين متعارضين، وجعلته مطابقا لمصطلح Tale الانجليزي، في حين عرفته سيزا قاسم بأنه: التسلسل المطلق لوقوع الأحداث وفق التسلسل الزمني"، وجعلته مقابلا لمصطلح: Fable في حين جعله كمال عياد مقابلا لـــ: مصطلح story معرفا إياه بأنه: "قص الحوادث حسب ترتيبها الزمني".

ومن هذا الخلط المفاهيمي يوجد الكثير خاصة في هذا الميدان (السرد).(9)

ونفس الاضطراب أيضا وقع مع مصطلحات نقدية كثيرة منها الشعرية والأسلوبية وغيرها، حيث تم الخلط بين مفهومها المتوارث ومفهومها الحديث فلو عدنا مثلا لمصطلح الشعرية فقد أحصى الباحث: عبد الملك بومنجل لها خمسة مفاهيم في الخطاب العربي المعاصر وهي:

1- السمات الأسلوبية التي تمنح جنسا من الكلام صفته الشعرية فيسمى شعرا.

2- الخصائص الجمالية التي تمنح ما يسمى شعرا شعرية أخرى غير شعرية الانتماء إلى دائرة الشعر هي شعرية الروح أو الروح الشعرية أو كما يسميه الجاحظ (كثرة الماء) ويسميه الآمدي والقاضي الجرجاني والمرزوقي (عمود الشعر).

3- العلم الذي يعنى بدراسة فن الشعر تعريفا وتنظيرا وضبطا للقوانين والمعايير وهي ما يعبر عنه باصطلاح آخر (نظرية الشعر) وإلى هذا المفهوم ينتمي كتاب الشعرية أو فن الشعر لآرسطو، وكتاب بنية اللغة الشعرية لجون كوهين.

4- الخصائص الجمالية الفنية التي تمنح الأعمال الأدبية، بل الفنية عموما بل حتى غير الفنية قدرتها على التأثير والإمتاع والإثارة وهي المقصود بما أطلق عليه ميكال دوفران (Le poétique).(10)

- العلم الذي يبحث في أسرار الجمال الأدبي في مختلف الفنون اللفظية دون تمييز بين شعر ونثر وبين قصيدة وقصة ومسرحية ورواية، وهو العلم الذي يعبر عنه باصطلاح آخر (الأدبية) ويقترح علينا عبد الملك مرتاض أن نصطلح عليه: الشعريات، لأنه لا يخص شعرية الشعر بل يضم شعريات عديدة.

وقد أنهى الباحث إحصاء هذه المفاهيم المتعددة لمصطلح الشعرية باستفهام يشوبه الكثير من التعجب فهل يعقل أن تكون هذه المفاهيم جميعا هي الدلالات الشرعية لمصطلح الشعرية؟

إذن تعدد المفاهيم للمصطلح الواحد يومئ للقارئ أنه أمام مصطلحات عديدة لا مصطلح واحد تختلف مفاهيمها من ناقد لآخر.

ثالثا: تداخل المصطلحات مع الكلمات العادية : وهو مظهر لا يقل خطورة عن المظهرين السابقين "فسعي النقاد إلى تتبع خطوات المناهج النقدية الحداثية عن قرب جعلهم يحرصون على نقل نتاج هذه المناهج نقلا حرفيا، أفقدهم القدرة على التمييز بين الكلمة العادية والمصطلح النقدي".[11]

فهذه الظاهرة ترتبت عن التبعية المفرطة أو العمياء للآخر ومحاولة نقل إنتاجه نقلا حرفيا، مما أدى إلى ميوعة هذه المفاهيم وعدم دقتها بسبب عدم توفر حدود تميزها حتى عن الكلمات العادية وقد ضرب لنا الباحث عبد الغني بارة بعض الأمثلة حيث أن صاحب معجم المصطلحات الأدبية، سعيد علوش[12]، أورد في معجمه مفردات عامة على أساس أنها مصطلحات مثل: الغياب Absence، البساطة Simplicite ،الحركة Movment.

ومنها ما استعمله عبد السلام المسدي[13] في كتابه الأسلوبية والأسلوب مثل الأخبار Information الفعل Act.

رابعا: ذاتية المفاهيم الاصطلاحية: ولعل هذه الظاهرة بالذات تعود بطريقة أو بأخرى إلى ثقافة الناقد الناقل فكل يحتكم في فهمه للمصطلحات لثقافته، فهناك من يحمل ثقافة فرانكفونية وهناك من يحمل ثقافة إنجليزية وهناك من يتمسك بالتراث ولا يعترف إلا به، وأبسط الأمثلة على ذلك المفاهيم المختلفة التي أعطاها عبد الله الغذامي للمصطلح البارتي: "موت المؤلف"وهو مصطلح غربي استقدمه عبد الله محمد الغذامي في كتابه ثقافة الأسئلة وحرص على تأصيله في الثقافة العربية فكان أن أفقره وحوّله عن مقاديره، فهذا المصطلح الأجنبي مارس سلطته وسطوته على النقد العربي الحديث بمجرد استقدامه، وهو ليس بالمصطلح العادي البريء كما اعتقد بعض النقاد العرب، بل هو رواق معرفي يختزن تاريخا فهناك نوع من التوازي بين موت المؤلف وموت المستبد.

حتى أن هناك من النقاد من يرى بأن هذا المصطلح وأمثاله لا يمكن إسقاط دلالاته على الواقع الثقافي العربي فهو منها براء.

لقد وضع رولان بارت هذا المصطلح ليقضي على فكرة ربط المؤلف وسيرته بنصه التي سيطرت زمنا غير يسير على حقل النقد الغربي لينوب عنها مفهوم تعدد القراءات بتعدد المتلقين، فميلاد القارئ ينجر عنه حتما موت المؤلف، وهذه الرؤية البارتية تعيد قيمة الفرد في المجتمع بالإضافة إلى أنها تدعو إلى الاختلاف والتعدد بدل النمطية والتطابق، فالقارئ يصبح منتجا آخر في هذا الخطاب.[14]

إلا أن عبد الله محمد الغذامي رغم افتتانه بمقولة موت المؤلف وكل المصطلحات التي تمتّ إليها بصلة كالتفكيكة والتشريحية والنصوصية...

حاول تأصيلها عن طريق إفراغها من محتواها الأصلي فمحا كثافتها، فموت المؤلف في نظر الغذامي يحمل الدلالات الآتية:

أ- مصطلح موت المؤلف: يعني أن الشخص الذي كتب الكتاب قد توفي فعلا، وتاريخ وفاته مثبت على غلاف الكتاب، مؤكدا ذلك بقوله: "... واعتاد أن يجد اسم المؤلف مطبوعا على الغلاف وعلى الصفحة الأولى بعد العنوان وبجانبه تاريخ وفاة المؤلف"،(ص 186) وقد أورد الغذامي أمثلة كثيرة على هذا النوع من المؤلفين الذين

ماتوا وشبعوا موتا كما يقول عنهم مثل: المتنبي، وابن كثير وشكسبير، ابن عقيل... فهو يقصد هنا بالمصطلح الموت الفعلي أو الحقيقي لهؤلاء المؤلفين.

ب – مصطلح موت المؤلف: يعني تخفي المؤلف عمدا كي يدرأ الحسد ويسلم من طعن العيابين، ههنا يتنزل في نظر الغذامي ما لجأ إليه الجاحظ في بداية عهده بالكتابة والتأليف من تكتم على اسمه حيث يقول الغذامي :

"ولا ريب عند أحد منا أن الجاحظ كاتب عظيم، ومؤلف قدير... ولهذا فإنه حرص منذ مطلع حياته على حماية ما يكتب وتحصينه ضد أنواع العدوان وبالذات في حالته – ضد الحسد والحساد... ومن ثم راح يؤلف الكتب وينسبها إلى رجال انقضى زمنهم وخلفوا ذكرا حسنا يشفع للكتب بأن تمر عبر أزقة الحساد بسلام... وهو يقتل نفسه بعد معاناة فادحة يضحي بها بنفسه من أجل كتابه".[15] فالجاحظ بصنيعة هذا يريد أن تصل كتبه ومؤلفاته إلى الناس وتلقى قبولا وترحابا وتنال نصيبها من الشهرة، ثم يقوم بمحاولة استرجاعها ونسبتها لنفسه خوفا من الحسد ومن كيد الكائدين كما يرى ذلك الغذامي، حيث حكم على المؤلف بالموت وهو حي ولكن بطريقة مغايرة للموت الحقيقي فالموت هنا "إرجاء العلاقة فيما بينهما (بين المؤلف والكتاب) ريثما تصل الرسالة وتحقق وجودها المكتمل في نفوس مستقبليها".[16]

جـ- موت المؤلف مقولة تعني "استحواذ مؤلف على نتاج مؤلف آخر أي ما يسميه الغذامي: إلغاء المؤلف إلغاء تاما ومن ثم إحلال مؤلف آخر محله"[17] ويذكر الغذامي الفرزدق وما كان من أمره مع جميل بثينة وذي الرمة والشمردل، حين كان يستحوذ على بعض من أبيات شعرهم قائلا في كل مرة: أنا أحق بهذا البيت منك"[18]ويؤكد الغذامي بأن هذا ضرب آخر من موت المؤلف وهو تغييب قصدي.

د- موت المؤلف مقولة: لا تعني أن الموت موت نهائي، وأن لا رجعة ولا انبعاث من الرقدة الرميم، إن المؤلف الميت حسب رأي الغذامي يمكنه أن يستعيد حياته بطريقتين؛ أولاهما موقف الجاحظ من كتبه وتصانيفه حيث أن الجاحظ نسب كتبه في بداية مراحل تأليفه إلى غيره، ولما تجاوز مرحلة الخطر استعادها وأعلن حياة المؤلف، وهي معادلة حسب الغذامي لم يستخدمها الشعراء والكتاب القدامى أمثال جميل وذو الرمة؛ إذ كشفوا أمر قصائدهم أمام سباع تعودت النهب.

أما الطريقة الثانية فهي نابعة من الرؤية الإسلامية فالموت مرحلة عبور من دنيا فانية إلى عالم أجمل حيث يقول الغذامي: "ونحن هنا نفسر موت المؤلف حسب المفهوم الديني الذي يعني الانتقال والتحول وليس الفناء النهائي، وهو نقل للنص من دنيا الزوال إلى عالم الخلود".[19]

بهذه الطريقة وبهذه المعاني القريبة إلى السذاجة أحيانا (مخافة الحسد أو السرقة) استقدم الغذامي هذا المفهوم وفتح تاريخ يتمه، فبعد أن كان مفهوما ثوريا فقد ناره وانطفأت جذوته بفعل محاولة تأصيله وغرسه في غير تربته.

ويحضرني هنا قول الباحث عبد العزيز حمودة حول هذه الظاهرة "إننا نستعير المصطلح النقدي، ونخرجه من دائرة دلالته داخل القيم المعرفية فيجئ غريبا، ويبقى غريبا ويذهب غريبا، النتيجة الطبيعية هي فوضى النقد التي خلقها الحداثيون العرب".[20]

إذن عملية استقدام المصطلحات الأجنبية عملية ليست باليسيرة فهي تحتاج أولا إلى التثبت من المصطلح والوقوف على مرجعياته الفكرية في تربته الأم ثم محاولة نقله إلى تربة مغايرة وقد تناسبه وقد لا تناسبه ،فاستيعاب النماذج في أصولها ومساءلة أبعادها الإبستيمولوجية هو وحده السبيل إلى إغناء معرفتنا بأنفسنا ومعرفتنا بالآخرعلى حد قول الباحث سعيد بنكراد، "فما يأتينا ليس مجرد مفاهيم عارية من أي غطاء حضاري بل هي نماذج معرفية تخفي داخلها نمط الحياة والموت وإنتاج القيم".(21)

لذا فضرورة الوعي بهذه الخلفيات الثقافية واجبة للانفتاح على هذه المفاهيم والقدرة على التحكم السليم في استعمالها.

إذن المصطلح النقدي غير المحدد يثير في أحايين كثيرة الخلاف بين الباحثين والنقاد وغياب التحديد الدقيق للمفهوم مدعاة للسقوط في العجز عن التبليغ.

ولا شك أن لهذه الفوضى والاضطراب الاصطلاحي في حقل النقد الأدبي أسبابه والتي حاولنا الوقوف على بعضها لعلنا نلتمس بعض الحلول على ضوئها منها:

– الانبهار بفكر الآخر والتبعية العمياء له:صحيح أن التأثر والتأثير سنّة كونية بين الشعوب ولا توجد ثقافة إنسانية نسيج وحدها فكلّ مؤثّر ومتأثر، إلا أن ذلك التلاقح الثقافي والفكري لا يقتضي بالضرورة الذوبان في الآخر فلكل ثقافة خصوصياتها وهويتها التي تميزها، إلا أننا في حقل النقد العربي نلمس عكس ذلك، حيث قابل النقاد العرب إنتاج الآخر في حقل النقد بكثير من الانبهار والتقديس فراحوا مع مطلع القرن العشرين ينقلون المناهج النقدية ويهرعون لإدخالها حتى قبل أن تمهد لها أعمال أدبية تتناسب معها في الأدب العربي "فالمصطلحات في الوطن العربي لم تنشأ نشأة طبيعية تلائم حاجة الإبداع الأدبي للأدباء العرب بل كثير من المفاهيم النقدية التي أدخلت إلى الساحة العربية جاءت جاهزة قبل أن تنشأ الأعمال الأدبية التي تنطبق عليها".(22)

فهذا التسرع في النقل المصحوب بكثير من الانبهار أدى إلى اضطراب المصطلح المنقول وتغييب إنتاج الذات مقابل هذا الدخيل حتى ولو كان يشبهه من الناحية الفكرية أو أسبق منه ظهورا.

– اختلاف ثقافة الناقل: تؤيدها النعرة القطرية التي تفرق بين الدول العربية، حيث أن المغاربة ذوو توجه فرنسي في حين أن المشارقة ذوو توجه انجليزي لأسباب استعمارية وسياسية.

– الاجتهاد الفردي من طرف النقاد: فبعضهم يترجم وبعضهم يعرّب وبعضهم يفضل الإحياء، وكل يتعامل حسب ما يمليه عليه ذوقه، بالإضافة إلى عقدة التفوق التي تجعل من كل ناقد يرى بأنه الأصحّ، وأنه الأحق بأن يتبع مما يمنعه طبعا من الاطلاع على جهود السابقين في عمله الذي يقوم به فينطلق من الصفر لنقل مصطلح نقله قبله العديد من النقاد فتكثر الجهود ولكنها تهدر وهذا ما أكده الباحث عبد الحميد العبدوني بقوله: "ومن الأمور التي تزيد في تعقيد ترجمة المصطلح عدم اطلاع المترجمين العرب النقاد خاصة على كتابات بعضهم البعض الشيء الذي نتج عنه وجود عشرات المصطلحات لمفهوم واحد وترتب عنه أيضا خلط وبلبلة في ذهن وفكر القارئ".(23)

–اختلاف السياق الثقافي:فالمصطلح ابن بيئته ولا يأتي إلا محملا بثقافة وفكر بيئته الأصل التي نشأ فيها، إلا أن هذا الأمر لا يدركه الكثير من النقاد الذين ينتشلون المصطلح الأجنبي من بيئته الأم بكل عوالقه الثقافية التي لا تتماشى

في كثير من الأحيان مع ثقافتنا وفكرنا محاولين استزراعه في تربة جديدة تختلف تماما عن تربته الأصل، فتذهب معالمه ويتشوه مفهومه مما يحدث فوضى واضطرابا مصطلحيا "فترجمة المصطلحات معزولة عن سياقات استعمالها العلمية والاجتماعية لهو ضرب من تشويه مفاهيمها الأصلية وعدول عن أهدافها التواصلية (...) فكل مصطلح يحمل في طياته سمات الفضاء الاجتماعي والثقافي الذي نشأ فيه".(24)

لذا توجب على ناقل المصطلح الإحاطة بسياقه الثقافي ومرجعياته الفكرية أولا، ثم البحث عن مقابل له في الثقافة المستهلكة.

-غياب المؤسسات العلمية المتخصصة في البحث في المصطلح النقدي:فرغم وجود المجامع اللغوية المنتشرة تقريبا في كل الدول العربية إلا أن جل اهتمام هذه المجامع هو المصطلح في حقل العلوم التقنية مع إهمال ملحوظ للمصطلح في حقل العلوم الإنسانية بما فيها النقد.

- بطء استجابة المجامع اللغوية لوضع المصطلحات التي تتوالد يوميا دون توقف إضافة إلى عدم امتلاكها لسلطة إلزامية تفرض قراراتها.

- غياب المنهجية: تعد المنهجية نصف المعرفة إلا أن الملموس في حقل النقد العربي الحديث أن النقاد والدارسين تشوب أعمالهم الكثير من العفوية والعشوائية المدعومة بالذاتية والمجهود الفردي فغياب الاتصال أو قلته فيما بين علماء اللسان والنقاد العرب أنفسهم، وضعف التنسيق العلمي فيما بينهم يزيد هذا الأمر سُوءا بحيث "نلفي كلا منهم يضطرب في مضطربه، ويهيم في واديه ويتيه في ناديه، فتتطاير الجهود شعاعا وتتبدد الأنشطة لشظايا وتخيب لدى نهاية الأمر المساعي الطيبة حيث لا تكون الثمرات المجنية إلا شحيحة مزجاة".(25)

إضافة إلى وجود أسباب أخرى لاضطراب المصطلح وهي غموض المصطلح النقدي في بيئته الأصل حيث "يعمق من هوة الاختلاف في استعمال المصطلح اللسانياتي والسيميائي والنقدي لدى المشتغلين العرب المعاصرين في هذه الحقول المعرفية ما يوجد من اختلاف في أصل الاستعمال لهذه المصطلحات لدى النقاد الغربيين أنفسهم بين اللغتين الفرنسية والانجليزية خصوصا".(26)

- تعدد الحقول المعرفية التي تستعمل نفس المصطلح وهذا يعود لتداخل الحقول المعرفية مع بعضها البعض "فالنقد الأدبي وإن كان دوما مترافقا مع المعارف الأخرى سواء منها الدينية أم الفلسفية أم التاريخية فإنه في العصر الحديث قد أصبح متواشجا في الأعماق مع حقول معرفية هي على غاية من الدقة، بل ولبعضها -وهي من العلوم الإنسانية- تجليات تلامس ما لبعض العلوم الصحيحة من تشكيل صوري في الضبط والصياغة".(27)

فالنقد الأدبي متداخل مع علوم إنسانية ولغوية كثيرة كعلم النفس وعلم الاجتماع واللسانيات كما وله علاقة مع علوم أخرى دقيقة كالفيزياء... حيث أصبح يأخذ مصطلحاته من هذه الحقول لبناء معجمه الاصطلاحي.

- تعدد الجهات التي تضع المصطلح النقدي في الوطن العربي بين أفراد ومؤسسات بل ويمكنها أن تختلف - المصطلحات- عند الناقد الواحد.

- تعدد مصادر المصطلح النقدي: حيث يمكن أن يأخذ الناقد المصطلح من لغته الأصل ويمكن أن يكون مترجما عن لغة أخرى، وهذا ما أكدته الباحثة منتهى الحراحشة بقولها:

"ولعل تعدد اللغات التي يستقي منها الناقد مصطلحاته النقدية فرضت ما يعرف بازدواجية المصطلح الحتمية وتضاربه في الدول العربية".[28]

-الترجمة الحرفية: حيث أن "الترجمة الحرفية الشكلية لا الدلالية تفقد المصطلح النقدي خصائصه الجوهرية مما يجعل المصطلحات غير مألوفة للمتلقي العربي الذي يواجه أصلا أزمة حادة مع النص".[29]

فالترجمة الحرفية تقوم ببتر تلك المصطلحات من سياقاتها الثقافية والتي ترتبط بها أيما ارتباط لتنقلها إلى تصور آخر لا علاقة له بالمفهوم الأصلي، مما يؤدي إلى اضطراب تلك المصطلحات وتداخلها مع مفاهيم أخرى لأن "كل مصطلح لا يدرك إلا من خلال موقعه داخل تصور نظري يمنحه مشروعية الوجود والاشتغال، فنقل المصطلح هو نقل لهذا التصور وليس إعطاء مقابل عربي لمفردة أجنبية".[30]

- اختلاف خصائص اللغة العربية عن خصائص اللغات الأجنبية خاصة الفرنسية والانجليزية فهما أهم مصدرين لنقل المصطلح النقدي، فاللغة العربية لغة اشتقاقية في حين تعتمد اللغات الهند وأوربية على الإلصاق والنحت فضلا عن عدم توافقها في بعض الحروف خاصة في حالة اعتماد التعريب مثل حرف (W,g,B,v...)

ورغم كل الإشكاليات التي يتخبط فيها المصطلح النقدي العربي اليوم فهناك دائما حلول ولو نسبية يمكن تحقيقها بتظافر الجهود والعمل الجماعي المنسق وبكثير من الإيمان بأن اللغة العربية صالحة لكل زمان ومكان وقادرة على مسايرة التطور العلمي كيفما كان، لذلك ارتأيت طرح هذه التوليفة من الاقتراحات التي استفيتها من أفكار الكثير من الباحثين الذين أسالوا الكثير من الحبر في هذا الشأن منها:

- إنشاء مؤسسات علمية تقوم على تنسيق الجهود بين الباحثين والنقاد تهتم بالمصطلح النقدي أولا وأخيرا.

- العمل على اختيار أعضاء هذه المؤسسات العلمية من أهل التخصص حتى لا يسند وضع المصطلح النقدي لغير أهله "فتدبير أمور المصطلح ليس شأنا تقنيا يتكفل به مترجمون متمرسون يجيدون اللغات، بل هو شأن معرفي يتكفل به المختصون في شتى فروع المعرفة".[31]

- العمل على وضع معجم نقدي عربي حديث يجمع المصطلحات النقدية ويوحد جهود أهل الاختصاص لتكوين معجم اصطلاحي خاص بحقل النقد العربي الحديث.

- تكوين المصطلحي الناقد هذا الذي يرى فيه الباحث توفيق الزيدي أن مهمته ليست تقييم ونقد الأثر الأدبي فذلك تخصص الناقد أما هذه الفئة "فتكون مهمتهم جمع المصطلحات النقدية العربية قديما وحديثا وخزنها ودراستها"[32] فالمصطلحي الناقد يُعنى بخطاب الناقد وليس بالأثر الأدبي.

- بالإضافة إلى تكوين مترجمين أكفاء تتوفر فيهم شروط منها: "إتقان اللغتين بدرجة عالية، اطلاع واسع على الثقافتين، واطلاع على ثقافات أخرى تتصل بثقافة اللغتين ومراعاة شروط اللغة المنقول إليها، وهي العربية هنا ومن حيث قواعد النحو والصرف والصياغة التي يقبلها الذوق عند النحت والاشتقاق على القياس".[33]

- إعادة التنقيب في التراث وإحياء ما يمكن إحياؤه من مصطلحات تخدم النقد الأدبي الحديث حتى لا تحدث قطيعة مع التراث.

- الاعتماد على بنوك المصطلحات من أجل مسألة التوحيد للحد من الفوضى والاضطراب.

- تفعيل دور المجامع اللغوية ومكتب تنسيق التعريب بالرباط وإلزامية العمل بالشروط التي وضعتها لصياغة المصطلح، مع ضرورة التفاتها للمصطلح في حقل العلوم الإنسانية بما فيها النقد الأدبي وإعطائه ما يستحق من أهمية.

_خلق وحدات بحث مصغرة على مستوى كل جامعة من الجامعات تهتم بقضايا المصطلح النقدي لتبادل الخبرات مع التنسيق بين هذه الجامعات على المستوى الوطني و لَم لا على المستوى العربي.

- الإكثار من عقد الندوات والأيام الدراسية لمعالجة قضية المصطلح النقدي والبحث عن حلول مثلى لأزمته.

إذن رغم هذه الاقتراحات الكثيرة ما تزال قضية المصطلح النقدي إشكالية تنتظر حلا ولعل هذا الحل هو أن يتكلم النقد باللغة العربية وأن ينتج أهل العربية نقدا ناطقا بلسانهم يتماشى وطبيعة ثقافتهم وإبداعهم الأدبي طبعا دون محاولة للانغلاق على الذات وبذلك فقط يمكن للمصطلح النقدي العربي عامة أن يعرف الاستقرار.

قائمة الهوامش والإحالات:

1. عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط1، 2004، ص 166-167.
2. جميل الملائكة، في أساليب اختيار المصطلح العلمي ومتطلبات وضعه، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب بالرباط،المغرب، ع24، 1985، ص ص 6-9.
3. علي القاسمي، مقدمة في علم المصطلح، مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1987، ص ص 107-112.
4. ينظر: هشام خالدي، صناعة المصطلح الصوتي في اللسان العربي الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2012، ص 139-142.
5. يحي عبد الرؤوف جبر، الاصطلاح مصادره ومشاكله وطرق توليده، مجلة اللسان العربي تصدر عن مكتب تنسيق التعريب بالرباط، المغرب، ع36، 1992، ص 148.
6. إبراهيم كايد محمود، المصطلح ومشكلات تحقيقه، مجلة التراث العربي، دمشق، ع97، 2005، ص37-38.
7. وليد محمد السراقبي، فوضى المصطلح اللساني، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد 83، ج2.
8. فاضل ثامر، اللغة الثانية في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، المركز الثقافي العربي بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1994، ص 169.
9. ينظر، عبد الرحيم محمد عبد الرحيم، أزمة المصطلح في النقد القصصي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج63، 1988، ص 168-169.
10. عبد الملك بومنجل، المصطلحات المحورية في النقد العربي بين جاذبية المعنى وإغراء الحداثة، منشورات مخبر المثاقفة العربية في الأدب ونقده، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2، ط1، 2015، ص 27-28.
11. عبد الغني بارة، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر (مقاربة حوارية في الأصول المعرفية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005، ص 308.
12. سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1985 ص239 ،241 ،251.(على التوالي)
13. عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص 212،224(على التوالي)
14. عبد الله محمد الغذامي، ثقافة الأسئلة (مقالات في النقد والنظرية)، دار سعاد الصباح، الكويت، ط2، 1993.
15. عبد الله محمد الغذامي، ثقافة الأسئلة، ص 193.
16. المرجع نفسه، ص 194.

17. المرجع نفسه، ص 194
18. المرجع نفسه، ص 195.
19. المرجع نفسه، ص 195.
20. عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، ص 32.
21. سعيد بنكراد، السيميائيات السردية(مدخل نظري)، منشورات الزمن، الدارالبيضاء، المغرب،2001، ص06.
22. عبد الرحيم محمد عبد الرحيم، أزمة المصطلح في النقد القصصي، ص 174-175.
23. عبد الحميد العبدوني، مشاكل ترجمة المصطلح النقدي الحديث، سلسلة الندوات (12) قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية مكناس، المغرب، 9-10-11 مارس 2000، ج2، ص 08.
24. خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، قضايا لسانية، دار الأمان الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013، ص 102.
25. عبد الملك مرتاض، إشكالية المصطلح في اللسانيات والسيميائيات (بحث في المفاهيم ومساءلة عن علل الاضطراب)، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، تصدر عن المجمع الجزائري للغة العربية، ع1، 2005، ص 29.
26. عبد الملك مرتاض، إشكالية المصطلح، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، ع1، 2005، ص 30.
27. عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي، دار عبد الكريم للنشر والتوزيع، 1994، ص 22.
28. منتهى الحراحشة، من مشكلات المصطلح النقدي في الدراسات النقدية العربية الحديثة والمعاصرة، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب والعلوم الإنسانية، تصدر عن جمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية، م6، ع2، 2009، ص225.
29. المرجع نفسه ، ص220.
30. سعيد بنكراد، المصطلح السيميائي (الأساس المعرفي والبعد التطبيقي)، ضمن سلسة الندوات، قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية (ج1)، مكناس المغرب (9-10-11 مارس 2000)، ص 159.
31. سعيد بنكراد، المصطلح السيميائي (الأساس المعرفي والبعد التطبيقي)، ضمن سلسلة الندوات: قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية، ج1، مكناس-المغرب، 9-10-11 مارس 2000، ص 157.
32. توفيق الزيدي، المنهج أولا، في علوم النقد الأدبي، قرطاج 2000، ط1، 1997، ص 44.
33. عبد الواحد لؤلؤة: أزمة المصطلح النقدي، تجربة شخصية، مجلة علامات، ج8، م2، يونيو 1993، ص 165.